

النفس التجريبي في الخيال العلمي الجزائري

د. فيصل الأحمر/ جامعة جيجل

قبل البدء: حد الحادثة وحد التجريب:

يجعلنا الحديث عن التجريب نقف مباشرة أمام مفاهيم الحادثة، وما لزوم أحد الخطابين للآخر إلا لكون الحادثة الفنية قد ركزت كثيرا على فكرة التجريب لا هتبال الحجب الكثيفة للإبداع الذي هو أحد المصطلحات المقدسة في الفكر الفلسفي الحداثي، الإبداع الذي هو الإتيان بصور فنية على غير نموذج سابق.

ومن هنا يمكننا دخول باب التقاطع بين الخيال العلمي وبين التفكير الحداثي، فكلاهما محاولة للقفز صوب إمكانيات أخرى غير المتاحة، محاولة لمعالجة نقص الكائن بإكسير الممكن، ومناورة في القادم لحل معضلات القائم، وخوض في الآخر لأجل فك مبهمات الحاضر.

من هذا المنطلق وجب الوقوف على الحد المزدوج الذي هو حد الحادثة والتجريب معا. وفي هذا الصدد يورد الروائي المغربي أحمد بوزفور نصا على شكل بيانات تقول هذا الأمر الذي نحن بصده قولا بليغا: «... الفهم الذي أرتاح إليه هو :

الملتقى الوطني الحركة الأدبية الجزائرية بين التأصيل والتجريب

- أن الحداثة ترتبط بإنسان العصور الحديثة بالإنسان الحر، سيد نفسه وصانع هويته ومصيره، والإنسان / المواطن في مقابل الآلهة الأبطال في العصور القديمة.

- وترتبط بالعقل، العقل الذي يكرس تحرر الإنسان من الغيب، وسيطرته على الطبيعة، وتطوره الاجتماعي والتقني والمعرفي.

- والحداثة ترتبط بالديمقراطية وحقوق الإنسان، وبالتعدد والتنوع والاختلاف، بالبحث والنقد والشكل، والتفكير الحر المستقل، والاكتشاف الاستثمار.

بناء على هذا الفهم، فإن الحداثة في الرواية تعني النثر بدلا من الشعر؛ تعني أنه في مقابل الاستعارة الشعرية التي توحد الكائنات والأشياء في شكل واحد.

وفي مقابل الغنائية التي توحد الأصوات في صوت واحد، وفي مقابل الكثافة والجزم والعاطفة، تهتم الرواية على العكس بالمعرفة والتردد والتفاصيل.

تهتم بالتشظية والتذير، وبتنوع الفضاءات والأزمنة والشخصيات واللغات والأصوات تهتم بالفعل والاستثناء والاستدراك أكثر من اهتمامها بالاسم والنعت وتستخدم (بل) و (لكن) و (هل) أكثر مما تستخدم (كل) و (إن) و (قد). تشطر الشعرة وتتبش خلفية الإحساس وتنزل
الثالث المرفوع¹»

الملتقى الوطني الحركة الأدبية الجزائرية بين التأصيل والتجريب

إن قول بوزفور عام شامل، يلقي بظلاله على كل العناصر التي نحاول هنا لملمة شتاتها وترتيب متفرقها إلا أنه يصر بشكل كبير على ربط التجربة الكتابية الجديدة بالإنسان الجديد.

هذا التعدد وهذا التذير والبحث قاد الكتابة إلى تحديثات كثيرة، نكاد نتمثلها على شكل عدد من الهواجس، وكل هاجس ينخر إرثا من المواريث الكلاسيكية، مع التركيز على العمل على مستويين رئيسيين هما اللذان ذكرناهما أعلاه : الحدث والزمن.

إن الإنسان يعي الوقائع بشكل خاص به، فيصبح يركب الأحداث بشكل الخصوصية ويلقي بوجدانه على الخطية الزمنية، فيرتب الحدث زمنيا بشكل وفي لبنائه الداخلي؛ وهو مسار كتابي يتبعه كتاب الخيال العلمي بشكل مكثف.

يقول سعيد يقطين في تفصيل طرق السرد التجريبي الذي يعلن حربا على عمود السرد كما هو معروف من قبل: «ينعكس تكسير هذه العمودية على كافة مكونات الخطاب : الزمن، الرؤية، الصيغة، علاقة الخطاب الروائي بغيره من الخطابات، حيث نجد الزمن لا يخضع لتلك الخطية التصاعدية التي تتطور فيها الأحداث وتتضافر في خدمة الحكمة. بل إننا نجدنا أمام زمن يرمي إلى تكسير منطق الزمن الخارجي وروتينيته (ماضي/حاضر/مستقبل). وذلك بالانتقال بين مختلف الأزمنة، وفي هذا الانتقال يتداخل التاريخي بالواقعي بالنفسي بالمتخيل. وبصدد الرؤية نجدنا

الملتقى الوطني الحركة الأدبية الجزائرية بين التأصيل والتجريب

أمام تعدد المنظورات التي يلقي من خلالها السرد. وإن كان الصوت أحاديا كما لاحظنا ذلك مع ورودة الوقت المغربي، أو هيمنة حضور الراوي مع " بدر زمانه ". ونقول الشيء نفسه عن الصيغة التي تعرف التعدد وذلك بإدخال عناصر عديدة لإرسال الخطاب، تتطلق من السرد إلى العرض بمختلف تحليلاته إلى توظيف طرائق أخرى لها خصوصيتها في تنويع صيغ الخطاب كالذاكرة، والتخيل، والسرد الذاتي، والحلم...² عتبة دخول: الخيال العلمي؛ قلق بشري....

يشكل أدب الخيال العلمي أحد أهم الجوانب الإبداعية التي يعول عليها المختصون في الشأن الحداثي والتجريبي في المستقبل الأدبي من المنطلق الذي عبّر عنه جيدا ناقد مثل "سعيد يقطين" بقوله هو "أدب الطاقات المتجددة"، أو كما عبر عنه "عبد الله إبراهيم" بوصفه "الأدب الوحيد الذي ينظر صوب الأمام في حين كل الآداب تنتظر إلى الماضي"... هذا الجانب الذي يمنح أدب الخيال العلمي خصوصية كبرى تجعلنا مجبرين - علميا وأكاديميا- على أن نكون شديدي التنبه لكل المستجدات التي تظهر في الساحة العربية عموما والساحة الجزائرية تحديدا، هذه الساحة التي عرفت وتعرف منذ قرابة ثلاثين سنة الظهور المستمر لأعمال تنتمي إلى هذا الحقل دون أن توليها كبير اهتمام؛ مفضلة إعادة العمل على الموضوعات المألوفة (مع ملاحظة أن عمر هذا النوع في الجزائر أقدم بكثير من ثلاثين سنة).

الملتقى الوطني الحركة الأدبية الجزائرية بين التأصيل والتجريب

وقد يكون النجاح الكبير لعملين صدرا مؤخرا مثل " 2084 أو حكاية العربي الأخير" لواسيني الأعرج، ثم " 2084 نهاية العالم " لبوعلام صنصال مناسبة مفيدة للنظر من كثب في هذا النوع الكتابي المتميز بالاستشراف وبتوقع المستقبل وبقراءة الحاضر بمنظار المستقبل المتوقع أن ينجبه هذا الحاضر. كما أنها مناسبة أيضا لمعالجة قناعاتنا الجمالية التي لم يسبق لها أن ساءلت هذا النوع الأدبي مسائلة جديرة بالتوقف لديها، ويكفي كبيان على ما نقوله أن نشير إلى انه لا يوجد كتاب تنظيري في هذا النوع في الساحة الجزائرية كلها رغم انتعاش حركة النشر في السنوات الأخيرة، ورغم أعمال صحفية كثيرة تناولت هذا النوع ستكون مهمة رصدها والضبط البيبليوغرافي لها واحدة من مهام المشروع الذي ننوي الخوض فيه في السنوات المقبلة إن شاء الله.

إشكالية أي بحث يخوض فيه المهتم بهذا النوع عندنا هي النظر في خصوصية هذا النوع الأدبي شديد التميز والتعقيد، بهدف كشف طرق تشكل النص التخيلي في كنف هذا النوع الأدبي الثري الذي يسيطر على الخيال في العالم كله -على الأقل من خلال الإنتاج السنمائي-...وكذلك البحث العميق في الخصوصية العربية وخاصة الجزائرية لهذا النوع الكتابي من خلال أعمال المشتغلين عليه: واسيني الأعرج- بوعلام صنصال- عز الدين ميهوبي- محمد ديب- محمد الصالح حرز الله- جيلالي البسكري- صفية كتو- نبيل دادوة - حبيب مونسي- تقي الدين بوسكين-

الملتقى الوطني الحركة الأدبية الجزائرية بين التأصيل والتجريب

- فيصل الأحمر - رابح كبير -...وقد بدأنا بدراسة رواية الحبيب مونسي لأسباب سيأتي بيانها في ذيل هذه الدراسة.

سيكون أي بحث في الخيال العلمي دائرا حول أسئلة هذا النوع الرئيسية: ما القيمة الدلالية المضافة لهذا النوع الأدبي؟ كيف يعالج الكاتب الجزائري موضوعات وجدت بشكل مختلف في البيئات الغربية؟ كيف يتجاوز كتابنا العقبات المتعلقة بالثقافة العلمية التي يبدو أنها لازمة للتعامل مع هذا النوع بالأدبي شديد الخصوصية؟ ما هي إضافات الثقافة العربية التي عرفت قديما أعمالا قريبة من هذا النوع من التخلييل؟

يمكننا عد الخيال العلمي أشد أنواع الكتابة تحقيقا للمسافة التي لابد منها بين الممكن الراهن والتي تكاد الحداثة تتحدد من خلالها، بل يكاد الفن يقبع عند تخومها كخلفية مفهومية.

المسافة بين عالمين.*

الخيال العلمي (كما نشأ مصطلحا) أو الخيال الافتراضي (كما ارتقى مفهوما) هما قراءتان ممكنتان للبادئة المختصرة الشهيرة SF التي تفكك كلاسيكيا (Science Fiction). وتقرأ حديثا - منذ ستينات القرن العشرين - (speculative fiction)

خيال علمي... لأن نشأة هذا النوع من الكتابات كانت شديدة الارتباط بوصف جديد العلم وما يجره من جديد الحياة، أو وصف أثر التطور العلمي على الحياة في مناحيها العديدة... إلا أن تطور الكتابة

الملتقى الوطني الحركة الأدبية الجزائرية بين التأصيل والتجريب

وللظروف العسيرة التي مر بها العلم حينما اتهم بالوقوف خلف الحريين العالميتين، جعلنا المادة العلمية تنقلص في هذه الرواية التي يحدث أن تسمى "مستقبلية" أو "استشرافية" وهذه الكلمة الأخيرة واسعة الاستعمال في الميدان إلى درجة تسمية الفرانكفونيين لهذا الجنس بأدب الاستشراف ...Littérature d'anticipation

وأدى تقلص المادة العلمية إلى رقي -كان غائبا في غالب الأحيان- في المادة الكتابية فأعطى كتابات جديدة تقرأ -كسابقاتها- تطور الإنسان تحت تأثير كل أنواع المعرفة-تكنولوجية أو حتى ميتافيزيقية- وتحت تأثير كل أنواع العقائد والصدف، بل وذهب كتاب هذا النوع إلى قراءة الماضي أيضا عن طريق فتحة هامة تنفرد بها رواية الخيال العلمي وسط أخواتها في عالم السرد، تلك هي إمكانية السفر في الزمن ذهابا وإيابا...

ليس العلم هو سمة الخيال العلمي الأساسية إذن، بل العمل على فرضيات غير متحققة ومعالجتها بمشروط الخيال -هذا لاشك ولا جدل فيه- تارة، وبمشارط المنطق والعلم والعقل والسخرية والايديولوجيا... إلخ... في تارات أخرى.

يحتفظ منظرو النوع مع نهاية القرن الفائت بفكرة مفادها كون الخيال العلمي خزانة موضوعات صارت مرتبطة بهذا النوع الأخطبوطي، فلا العلم ولا المنطق العلمي ولا النظرة الشمولية المتعالية صوب العالم ولا

الملتقى الوطني الحركة الأدبية الجزائرية بين التأصيل والتجريب

التبشير بالتغيرات الجذرية والعميقة في حياة البشر هامة في هذا الميدان... بل إنه يعد من الخيال العلمي كل أدب روائي يتطرق لموضوعات مثل: الحركة في الزمن، عالم الفضاء، المخلوقات غير البشرية، نهاية العالم، ما فوق الإنسان، الأسلحة الفتاكة، حياة العلماء ووصف المخترعات، تجسيد عوالم الإنسان الداخلية، وصف العوالم الموازية لواقعنا، افتراض تقاطبات معينة ثم وصف أثرها الافتراضي... إلخ.

إنه أدب العالم الممكن الآخر، وسماه بعض النقاد ما وراء الواقعية بدلا مما فوق الواقعية Surréalisme لأن ما وراء الواقعية hyperréalisme قد يشمل ما تحت الواقعية أيضا.⁽³⁾

يلاحظ الناقد الكبير روبرت سكولز مبررا جيدا لحيوية الخيال العلمي في قدرته على تجديد آلياته الداخلية، وهي صفة الأدب والفن عموما لا الخيال العلمي فحسب-؛ يقول: «قد يُرى الأدب بصورة مفيدة في حالة تطلعه إلى نسق ما، على أنه مجموعة من الكائنات تعي ترتيب نفسها باستمرار، بحثا عن توازن لم يتحقق إطلاقا، وفي أثناء هذه العملية تتبلور بعض الأشكال النوعية، وتثبت على حالها، أو تتلاشى مع الوجود وتسود بعضها في لحظات معينة من التاريخ، ولا تلبث أن تسلم موقعها المسيطر مع مرور الزمن وحسب». ⁽⁴⁾

الملتقى الوطني الحركة الأدبية الجزائرية بين التأصيل والتجريب

وهذا الكلام يعود بنا إلى مبرر دراستنا كلها، فنحن بصدد البحث عن مواقع الحياد على النموذج الواقعي المسطح الخطي النمطي كتابة وتصورا (مخيالا)...

ولا نود التوسع في هذه الأسطر شبه التنظيرية حتى تشمل المقاربات الكثيرة لوعي هذه الظاهرة الكتابية التي لا بد من الوقوف على عتبات دخولها المجال الجزائري أخيرا... لا نود ذلك لأن المقام لا يتسع تماما للدخول في تفاصيل نظرية المكان ليس مكانها ونحن بصدد الوقوف على جديد الرواية الجزائرية ومواقع انتقالها من سائد مملول إلى وارد مجهول.

لو سمح المقام لتوسعنا في مقارنة الوسط النقدي للخيال العلمي كنوع من الميثولوجيا الحديثة، وهي قراءة تستعيد الحضور الشديد الضروري للنماذج الكبرى التي حددها كارل يونغ، وتستعيد شعور الإنسان بضرورة اختراع صور خاصة به في كل طور من أطوار تطوره لهذه النماذج الأصيلية Archetypes، فالمحتوى "الصوري" أو "المخيال" التكنولوجي يعبر بطريقة بديعة عن أساطير يبتلعها الإنسان المعاصر.⁽⁵⁾ وليس خاليا من المعنى ومن المعنى المرتبط بهذه القراءة ذلك العنوان الهام الذي يعد نقطة انطلاق الخيال العلمي الحديث: «فرانكنشتان أو بروميتيوس الجديد» للانجليزية ماري شيلي Mary (1818) Shelley، فالروائية وهي تستخدم الاختراع الجديد (الكهرباء) كمحرك

الملتقى الوطني الحركة الأدبية الجزائرية بين التأصيل والتجريب

لقوى كان الإنسان القديم يربطها بأسباب ميتافيزيقية تحاول تفسير أسطورة "نموذجية" "Archétypique" هي أسطورة بروميتيوس؛ السوبرمان القديم الذي يحمل طبيعة ناسوتية لم تكن عمالفة وآلهة الميتولوجية تحملها حتى ذاك الوقت.(6)

سننظر إلى الظاهرة دائما بعينين: إحداها تصف والأخرى تحلل وتؤول. العين الواصفة تقف عند محطات هامة كالنبذة التاريخية الجيدة التي كتبها الباحث فريدريك فونتين والتي نختصر منها ما يلي:(7)

نظرة الوسط النقدي اليوم صوب هذا الصنف من الكتابة والذي يراه الجمهور - حسبما ينقله فيصل الأحمر - خزنة للموضوعات تكاد تكون محصورة، حددها الباحث الفرنسي جيرار ديفلوث في فصل من كتابه الجيد: "La science fiction" تحت عنوان (جدول للموضوعات المفضلة Répertoire des thèmes favoris) ويحددها بعشرين تيمية أساسية مشتركة بين الكتاب من أمريكا إلى فرنسا إلى روسيا إلى اليابان - كما يقول -. وهي التيمات التي يقول إن النوع يهرب منها لشدة الإبداع ولتكريس فكرة الجديد ومبدأ الخروج عن السائد المؤلف إلى الوارد غير المعروف، ومن الراهن إلى الممكن.. يقول الباحث إنها تيمات عامة وشمولية لا تصنع الانفلات، بل إنها لا تتجاوز فكرة إمكانية التفرقة الشكلية (المنهجية) بين ما هو خيالي علمي وما هو ليس كذلك.

الملتقى الوطني الحركة الأدبية الجزائرية بين التأصيل والتجريب

هذه التيمات يختزلها كاتب هذه الكلمات محاولا العودة إلى النماذج

اليونغية المذكورة أعلاه فيستبقي هذه المواقع: (8)

اليوطوبيا وضد اليوطوبيا (أو ثنائية الجنة والجحيم).

الرحلة (في الزمان، في المكان، في الذهن، داخلية، خارجية، حقيقية، مجازية...).

ما فوق الإنسان وما تحت الإنسان وما يرتبط بهذا الموضوع من حديث عن الطفرات والقوى الخارقة والقدرات الباطنية الصوفية، والأدوية المخترعة...).

العلوم الخارقة (المخترعات، الكشوفات الخارقة، العلماء المجانين... إلخ).

تصوير المستقبل (أو العزف المحبب جدا على وتر التوقع).
العوالم الموازية (وهو موضوع مرتبط إلى درجة كبيرة بالميراث العجائبي).

القوى الخارقة وكل ما يتصل باللامعقول.

التجربة الجزائرية والنفس التجريبي

أولا: جلالته الأب الأعظم لحبيب مونسي

يتموقع الفن في النقطة الطريفة الموجودة بين صرامة الواقع أو الحقيقة المعطاة وبين الانتعاش الشديد الذي تدخله الإمكانات الخيالية على صرامة الواقع، نقطة طريفة ومثيرة تجمع بين "إن..." و"ماذا لو

الملتقى الوطني الحركة الأدبية الجزائرية بين التأصيل والتجريب

أن...". وإذا كان الأدب الواقعي مجبر على تقييد جزء "ماذا لو أن..." بالمعطيات الصارمة للجزء "إن...", فالخيال العلمي ينبني على التحرير الكلي للجزء الأول من الثاني، وهو تحرير يتخلص من المفاجأة غير المبررة وغير القابلة للتبرير للسريالية أو الدادائية أو العجائبية بواسطة التبرير العلمي والغطاء المنطقي العقلي... وهذا ما يعطي اللعبة جانبها الشيق... وسوف نذكر باستمرار بكون اللعب معطى حدثا رسخته ما بعد الحادثة، اللعب بالكلمات واللعب بالأشكال والمحاكاة الساخرة... إنها كلمات تقترب من طبيعة المجاز الذي هو تغطية غير كاملة للحقيقة، وحياد غير مكتمل عن صرامة الواقع...المجاز!

المجاز... إنه الكلمة المفتاحية في الفن وفي الحادثة، رواية "جلالته الأب الأعظم" نص غريب يصور لنا عالما شموليا (وهي تيمة منتشرة في تقاليد الخيال العلمي) يسيطر عليه رجل جبار ذو قوة خارقة (تيمة كلاسيكية أخرى) ثم يظهر بطل يقود البشرية صوب التحرر بقتل هذا الرجل وإلغاء أدوات قوته (تيمة روائية معروفة وخيالية علمية أكثر من معروفة)، إلى الآن لا يوجد لا فن ولا خيال ولا علم..

الفكرة كما هي معروضة لا توحى بالقدرة على ملء 282 صفحة كاملة، إلا أن الخيال العلمي يفجر هذه البنية المعروفة لإدخال عشرات العناصر ومئات التفاصيل التي يستطيع شكل كتابي آخر توفيرها، فنحن مع حاكم متجبر يسمى "الأب الأعظم" ويوصف بـ "جلالته"، فهو كالإله،

الملتقى الوطني الحركة الأدبية الجزائرية بين التأصيل والتجريب

وهو مستغل عظيم، والتسمية تحيل على المصطلح الغربي الذي أصبح معروفا في القواميس بفضل رواية مشهورة هي: "1984" للكاتب الإنجليزي "جورج أورول"؛ مصطلح "Big brother" "الأخ الكبير"، والرواية معروفة إلى درجة كبيرة، وصف من خلالها الروائي نظاما يشبه الستالينية من باب انسحاق الفرد، وانتشار البوليس وشدة تجسس أجهزة الدولة على أدنى تفاصيل الحميمة... وهو تصوير نقدي لليوطوبيا العلمية والتكنولوجية التي ما فتئ القرن العشرون مؤمنا بها.⁽⁹⁾

ثم يدفع الروائي عجلة الخيال أبعد، فتجد البطل الشاب يتسمى "موسى" ونجده يتربى في قصر الأب الأعظم وتربيته امرأة هي وصيفة اتخذها الأب الأعظم بمثابة "الأم العظمى" اسمها "اشتار" مع كل الحمولة التخيلية لهذا الاسم، ونحن هنا مع كل العناصر التاريخية (=الواقعية) لقصة سيدنا موسى عليه السلام مع فرعون، وبضربة خيال علمي نجد أنفسنا نقرأ القصة القرآنية (أو الدينية الكتابية) القديمة في إطار تكنولوجي معاصر تمهد له رسائل مجموعة من العلماء المنتحرين الذين أيقنوا بأنه لا يوجد مخرج للعالم من السيطرة الشديدة الأخطوبوطية الشيطانية لقوة "الأب الأعظم" ⁽¹⁰⁾... رسائل علماء مقبلين على الانتحار يتوزعون على مناطق مختلفة من العالم للدلالة على شمول الشعور بالقنوط لمختلف علماء مختلف مناطق الأرض.

رسالة دينية شاملة وقصة عالمية شاملة.

الملتقى الوطني الحركة الأدبية الجزائرية بين التأصيل والتجريب

تسلط الفراعنة وتسلط نظام عالمي خفي كاره للبشر يبرر شكله ومضمونه بطريقة فلسفية... يقول جلالته: «إنه التاريخ يعيد نفسه، وليس لنا فيه دخل أو تحويل، لقد عرفنا نحن الشتات والحرمان من قبل، على هذه الطبقة أن تذوق منه قسطها». (11)

هذه الطبقة هم العمال؛ أدنى طبقات المجتمع والذين تسميهم الرواية "العرب"، والتشكيلة بعناصرها كلها تحيل إلى إشارة طريفة يوردها الروائي بشكل حدائي، فالرواية في طبعتها الأولى تأتي مدعمة بمقدمة يكتبها عبد العظيم العبودي- زميل الروائي في الجامعة- يفكك الشفرة - ويكاد يفسد جزء من متعة القراءة- محيلا على الخطر الصهيوني الذي تستحضره الرواية من خلال الإطار المرجعي الغائب (فرعون وموسى) وتستحضره من خلال الإشارات إلى التفوق والقوة الخفية على امتداد فصول الرواية، وتستحضره من خلال إشارات إلى الشقاء والعذاب الذي ألم بالشعب المختار؛ كالتى أوردناها أعلاه ضمن استبطان جلالته.

إن تواشج هذه المحاور الدلالية وتشجير هذا المحور الرئيس هو التقليعة الكتابية التي لا يسمح بها سوى شكل الخيال العلمي، وهذا ما يقصده الكاتب الألمعي هارلان إليسون مقدما نصا لجيمس غراهام بلارد، إذ يقول إن كل قوة الخيال العلمي الجيد تأتي من التعامل مع عناصر واقعية ليست فيها أية مبالغة، نقبلها دون اللجوء إلى التساهل الذي يجرنا إليه "عقد القراءة"، عناصر مقبولة تكاد تكون من المحيط المباشر للقارئ،

الملتقى الوطني الحركة الأدبية الجزائرية بين التأصيل والتجريب

من دائرة وعيه الاعتيادية، ثم يخضع الكاتب هذه العناصر لتوليفة خيالية علمية تجعلنا نخطو خطوة أمام بيتنا فنقع في جهنم أو على الأقل في كتاب ليس فيه أي شيء معقول.⁽¹²⁾

إن قراءة رواية "جلالته الأب الأعظم" ممكنة على محورين أو في اتجاهين أحدهما يجد فيها نصا روائيا كلاسيكيا، لغته بارزة سطحية تقريرية ونكاد ندعي كونها فجّة فارغة من كل بعد جمالي... هي اللغة التي تترجمها مقتطفات مثل قوله في بعض المحاور:

«- خذوا مجالسكم.

همس الحاضرون في آن واحد:

سمعا وطاعة لجلالته الأب الأعظم.

ألنفت إلى يساره قال:

أنّي لكم صاغ.

نحن مجلس الحكماء نحي لجلالته الأب الأعظم بتحية الملك أولا

وبتحية الأبوة ثانيا، وبتحية العبودية ثالثا.»⁽¹³⁾

أو قوله:

«- أريد أن أكون عوناً لك على كل شيء، أريد أن أكون الأم

العظمى.

هز رأسه في وهن وقال:

الملتقى الوطني الحركة الأدبية الجزائرية بين التأصيل والتجريب

لا أستطيع لو علم المجلس السري ذلك لتأمر عليك وأبعدوك عني، فوراء المجالس العلنية هناك مجلس آخر لا يعلمه أحد على وجه الأرض وهو الذي يتولى رعايتي شخصيا وتوجيه مسيري... إنه مجلس يعيش في الظلام.

توقدت نظارتها وقالت:

أظل معك في سرية.»⁽¹⁴⁾

وكذلك قوله على لسان موسى البطل:

« دخلت في مجال حرب تناثرت عليه أشلاء العمارات الضخمة المقبورة، ترتفع منها الأسلاك الصدئة، عارية لا تكشف سوى الخراب الذي يعقب القصف النووي تحت غلالة سوداء.»⁽¹⁵⁾

وتورد الباحثة فالتنتينا إيفاشيفا نماذج كثير مما وقف لديه النقاد كنقاط ضعف في كتابة الخيال العلمي، تجملها في تهم ثلاث هي: ضعف الواقع الذي يوحى بواقعيته الكتاب بسبب عجزهم في إضفاء المصادقية التي هي أثر كتابي متشعب وليس معطى وصفيا فحسب، وكذلك ضعف تصوير الشخصيات التي تبقى كاريكاتورية في أغلب الأحيان بل إنها تقول إن كاتبها غزير الإنتاج مشهودا له بالريادة مثل إسحاق عظيموف عجز على رسم شخصية واحدة مقنعة وإنسانية 100%- إضافة إلى ضعف اللغة التي تظل عاجزة عن إحداث الأثر الشعري المرجو في عالم الأدب بسبب قبوعها على تخوم الوصفية والتقريبية العلمية.⁽¹⁶⁾

الملتقى الوطني الحركة الأدبية الجزائرية بين التأصيل والتجريب

هذه الهنات سيجدها قارئ رواية حبيب مونسي بلا شك في هذا النص، إلا أن التساؤل الحقيقي ليس حول وجود هنات أو عدمه، ولكن حول وجود هذا العمل -سواء بهنات أو دونها- وعدم وجوده.

لقد أسلفنا القول أن قراءة هذه الرواية تتأتى على محورين أو في اتجاهين، أحدهما ينظر فيرى رواية بهنات هي تلخيص جيد لأصناف الهنات الواردة في هذا النوع -كما قلنا... أما الاتجاه الثاني فسيمكننا من رؤية نص روائي رائد لم تسبقه رواية أخرى في هذا المجال... نص يؤسس لصنف في لا قبل لنا به من أصناف الكتابة... بل إنه اختار أحد الدروب الصعبة في الخيال العلمي الذي ينقسم إلى خيال علمي صارم Hard SF، وخيال علمي عجائبي، أو مغامرات بطولية أو أوبرات فضائية Heroic Fantasy و Fantasy space opera... (17) فرواية حبيب مونسي تقترب من النوع الأول؛ الصارم صرامة تجعله يقترح خيوطا يغزلها على امتداد ما يقارب ثلاثمائة صفحة دون مخافة ضياع أي خيط، مع الوصف والتفصيل وعدم الوقوع في التناقض أو المفاجأة أو الاعتباطية؛ أدغال من الصلات السببية والسلاسل المنطقية تزينها مبتكرات تبرر دوران الأحداث في القرن الواحد والعشرون الذي نقف اليوم دونه.

ونحاول فيما يلي رصد بعض هذه المظاهر كي نتضح الصورة أحسن فيما يتعلق بهذه الرواية الرائدة على أكثر من مستوى، ونستعرض مثلا النظام القائم في الطبقة الدنيا، والتي يمكن لعينة منها أن تبين لنا

الملتقى الوطني الحركة الأدبية الجزائرية بين التأصيل والتجريب

وضع الإنسان المستقبلي في كل الطبقات ولو أنه أكثرهم بلاء، فقد كان أناس هذه الطبقة العربية مثل كل البشر في هذه المعمورة تعرضوا بدورهم إلى التطهير وتقديم الولاء ثم البرمجة، لقد برمجوا على العمل في مناجم الذهب وحقول الحشيش وكل الأعمال الشاقة في الصحاري والأماكن النائية، وأسكنوا في معسكرات ضخمة -بعدها كانت مدنا في السابق- تضم شتاتاً من الرجال والنساء، يساقون إليها بعد العمل في شاحنات تحت الحراسة المشددة لهذا فقد حرمت هذه الطبقة من التعليم أو قراءة الدستور الجديد، كانت الشوارع هذه المدن مزودة بشاشات ضخمة ليطل عليهم "الأب الأعظم" واعدة متوعداً، كما عزلت الأحياء عن بعضها البعض بسياج مكهرب فلا يغادرها أهلها إلا للعمل نهاراً، ومع كل هذا هناك حرس زودتهم آلات التحضير بالقسوة والوحشية ما يؤهلهم لهذه الخدمة، وكان العامل إذا تعرض إلى المرض يعرض على الآلة وهي تقرر إما طرده أو إبقائه أو تحويله إلى عمل آخر، ولو قررت طرده يسحب ملفه من القوائم الرسمية كما يلغى رسم دماغه من ذاكرة العقل الجبار ويصبح ميتاً بالنسبة لهم ليتخذوا من الأقبية والمجاري القذرة بيوتاً لهم...

وقد ألغت الدولة نظام الزواج وحل محله نظام الحيوانية، أين كانت تدس المساحيق المهيجة في طعام العمال فيختلط الكل في بهيمية عمياء، وتعود الأبواب لتغلق من جديد بعدما يتلاشى المفعول لتفتح في الشهر المقبل، ثم تحال النساء الحوامل إلى مراكز الوضع وتفصل عن

الملتقى الوطني الحركة الأدبية الجزائرية بين التأصيل والتجريب

وليدها ساعة الوضع ليؤخذ الرضيع بدوره إلى مركز آخر حتى يتم إعداده وبرمجته لمهمة معينة (خادم، عسكري،...) وبهذا يتلاشى معنى الأسرة بما تحمله من عواطف في ظل هذه الدولة المستقبلية، هذه هي ملامح الحياة المستقبلية التي أطلعنا عليها حبيب مونسي، إنها ملامح لا تثير إلا الخوف من هذا الخطر الآتي من المستقبل الذي قد يأتي فعلا فيقتل الإحساس فينا ويحولنا إلى مجرد لعب تعبث بنا الآلة كما تشاء ثم توجهنا السلطة كما تريد، ولكن الكاتب مع كل هذا لا يكتفي بتقديم اليوطوبيا الضد ليشعرنا بالخوف من المستقبل، بل يقدم لنا بعض الإشارات التي تعطينا الأمل بقدرة الإنسان على التحكم في الآلة التي صنعها بيديه فيقدم لنا ملامح الدولة المثالية التي تقوم على أنقاض دولة اليوطوبيا الضد وهذا من خلال التقسيم المضاد.¹⁸

المادة العلمية

إضافة إلى هذه الأجواء المستقبلية المخيفة والتي أخذنا إليها حبيب مونسي، فقد وظف ما أتاح له خياله من الوسائل العلمية، التي اخترعها لنا إن صح التعبير فقدمها لنا دون الغوص في الوصف الدقيق لها، أو كيفية عملها لأن الكاتب ليس عالما كما قلنا سابقا بل أديب قبل كل شيء وأبرز هذه الوسائل العلمية ما يلي:

* عناصر اليوطوبيا الضد

الملتقى الوطني الحركة الأدبية الجزائرية بين التأصيل والتجريب

يصور الكاتب في "جلالته الأب الأعظم" مجتمعا مستقبليا يبدأ من سنة 2018 إلى سنة 2099 بكل ما فيه من مساوئ أين عملت فيه الآلة على تبليد الذهن وتحويل الإنسان إلى مجرد لعبة بين يديها بعدما احتفظ العقل الجبار برسم دماغ الإنسان على سطح الأرض ليقوم بتوجيهه وتحويله... إنها ملامح الدولة العالمية الموحدة التي قضت على الأقاليم والحدود، قضت على الدين والتاريخ وأحرقت كل الكتب السماوية والبشرية ضمن عملية التطهير كما يسميها جلالته، تطهير الإنسان من كل شيء يجعله يسمى إنسانا، حتى الأحاسيس والمشاعر رأى فيها مجلبة للمتاعب ولا بد من نبذها، هكذا أدخلت جيوش الناس في أحشاء الآلات ليخرجوا منها كل مبرمج لمهمة، ثم جمعوا في محتشدات ضخمة وقسموا حسب انتمائهم إلى طبقات فكانت الدولة مقسمة إلى ثلاث وثلاثين طبقة يتولى شؤون كل طبقة مجلس مكون من حكيم يساعده على أداء المهام كاهن عسكري ومربي، ولهم كل شهر حج إلى القاعة المشرفة والتي هي قاعة الاجتماع للترؤد بالطاقة الحيوية من الأب الأعظم والذي هو القوة العظمى للدولة العالمية، وبهذا كانت الدولة العالمية تعمل على ثلاث مجالات هي:

المجال الديني

دمرت كل الكنائس والمساجد والمعابد وحطم كل شيء يمت للدين بصلة، وأقيم دين جديد يؤمن بأبوة الأب الأعظم وعبوديته وملكه، "كما أنشئت بيوت عبادة خاصة حديثة يدخلها الداخل في جو من الخشوع

الملتقى الوطني الحركة الأدبية الجزائرية بين التأصيل والتجريب

والندم، فيقدم ولاءه وخضوعه، ثم يجد ما تشتهي نفسه ماثلا بين يديه"، (19) وبهذا كان الدين قائما على توحيد الأبوة العظمى وإقامة النعيم على الأرض لا السماء.

المجال العسكري

تم إنشاء جيوش مدبرة منظمة مهمتها مراقبة العامة أثناء أداء الأعمال وحراسة الدولة والأب الأعظم، كما تم انتقاء صفوة الجنود الأكثر وحشية من أجل الاستعانة بهم في الحوادث الطارئة، كما تم إنشاء المراكز العسكرية وهي لا تعمل على الإعداد العسكري لهم لأنهم أخذوا هذا في المدارس القديمة، ولكن هدفها هو إعدادهم روحيا من أجل تقديم الولاء أولا ثم البرمجة ثانيا.

المجال التربوي

تم نبذ كل الثقافات وإحراق الكتب السماوية البشرية، وتم تقديم الكتاب المقدس الجديد الذي يتماشى مع كل طبقة أي لكل طبقة دين يتماشى معها، إلا أن الطبقة الدنية التي حرمت من التعليم لتبقى مبرمجة للعمل في الحقول والمناجم فقط وهي طبقة العرب.

العقل الجبار

هو أعجوبة من أعاجيب التقدم التكنولوجي في العالم المستقبلي، وهو يفكر تفكيراً منطقياً دون تعثر يجعل النتيجة التي وصل إليها مستحيلة الوصول من طرف أي عقل إنساني، ينبعث منه -بعد تشغيله- صوت

الملتقى الوطني الحركة الأدبية الجزائرية بين التأصيل والتجريب

يحاكي صوت جلالة الأب الأعظم فنتراقص الأنوار منه حيناً ثم ينبعث أزيز خافت تتلوه حشرة ينطلق منه الصوت، وهو في الحقيقة عقل الأب الأعظم أوصل بطاقته فكان يفكر ويبدع تحت إرادته، فإن خاطبه من طرف المعمورة أجابه، ولا يستطيع أي أحد التقرب من مقاليدته إلا بإذنه وإلا هلك.

ويحتوي هذا العقل على شاشة لامعة وعين آلية تتحول نحو الشاشة لتتقل صورة العالم في الخارج فيعطي عنه تقريراً مفصلاً لا يقبل الشك، كما يقوم بعملية الفرز والبحث عن معطيات الأديان، عن نصوص تقف وراء نصوص الدين الجديد ونسخها فيقف على وجه التشابه والاختلاف بينهما، فيرد المتشابه إلى بعضه البعض والمختلف إلى أصله ويستنتج القاعدة التي تنطلق منها هذه الأديان... وهي كما نرى عملية دقيقة جداً يصل إليها العالم في المستقبل، وللعقل الجبار عدة عقول صغيرة تابعة له، تقوم بمساعدته فتتولى النظر في دين من الأديان ومقارنته بما أمدها العقل الجبار من الدين الجديد في مجال اختصاصه ثم يتم حوصلة الأديان السابقة في دين واحد يعلن قدرة البشرية على خلق دينها دون تدخل القوى الغيبية، وتساعدته أيضاً عقول متخصصة لكل طبقة، هذه العقول تملك في ذاكرتها رسماً لكل دماغ بشري بتلافيفه وشدته وتوتره، يقوم من خلالها ببرمجة كل العقول مرة واحدة كل أسبوع لضمان الاستقامة، كما يقوم العقل الجبار بتسيير وتوجيه الشاشات العملاقة المبنوثة في

الملتقى الوطني الحركة الأدبية الجزائرية بين التأصيل والتجريب

المراكز حسب الظروف الطارئة التي تمر بها هذه المراكز، فيطل وجه جلالة الأب الأعظم منها واعداء متوعدا، وأبرز ما ميز به الكاتب هذا الجهاز هو التطور العلمي الهائل الذي تميز به، هو يعد في وقتنا الحالي ضرب من الخيال، فهو قادر على استحضار أي شخص ولو كان في أقصى مكان في الأرض، وهذا ما حصل لموسى فقد استحضره العقل الجبار بمجرد أن أشار إليه جلالة الأب الأعظم، وبواسطة جهاز تابع له -في نفس القاعة- مكعب الشكل كثيف الضوء يظهر فيه الجسد في ضبابية ثم يأخذ شكله ومعالمه الحقيقية، كما كانت له القدرة على إهلاك أي شخص يؤمر بقتله ولو كان في أقصى الأرض، وهذا ما فعله مع العجوز الذي كان مع موسى الصبي حين نزع له رأسه وتركه جثة هامدة. الخيال العلمي من حيث وجوده على خارطة الكتابة في أدب أية أمة يعد نداء للكتابة صوب الخروج من خط يسميه الإنجليز: " التيار الأساسي Main Stream"، وهي تسمية تحمل دلالة سيميولوجية هامة، فكأن الخيال العلمي خلق لتيار جانبي، أي متميز أي خارق للقاعدة أي حدائي.

أشرنا إلى الهنات التي ستصدم القارئ لأول وهلة، ونعيد الإشارة إليها مرارا، منبهين إلى كون بعض الهنات مرتبطا بالنوع،⁽²⁰⁾ وكون بعضها -وهذا أمر لا بد من التنبيه إليه- مرتبط بحدثة عهد القارئ (والكاتب أصلا) بهذا النوع من المواقع الأدبية؛ الشيء المؤدي بالكاتب

الملتقى الوطني الحركة الأدبية الجزائرية بين التأصيل والتجريب

إلى كثرة الاستطراد وإلى هوس التفاصيل والشروح من أجل ضمان حد أدنى من التواصل، ومن الفهم.

ولكن أهم العناصر المأخوذة بعين الاعتبار هي الريادة. وسيطرح أي قارئ السؤال حول حداثة النص الرائد،... بل إن السؤال سيدقق الاستفهام: هل يمكن لنص رائد في لغته أو بيئته أن يكون حداثيا حتى وإن كان متخما بكليشيات مستجلبة يعرفها قراء اللغات والبيئات الأخرى، بل وربما يسخرون منها.

نجيب: نعم... لأن النص إذا نقل جماليات موجودة في أماكن أخرى وبلغات مجهولة، فهو يحدث فتحا في المكان الجديد وفتوحات في اللغة المستقبلية، بل إن نصه المليء بالكليشيات قد تفوق أهميته النصوص المنقول منها على جدتها وشدة ابتكارها. ونشير هنا للتدليل على ذلك ما كان لنص دانتي أليغري "الكوميديا الإلهية" المنقول - كما لم يعد أحد يشك - من الثقافة العربية ومن نص أبي العلاء المعري "رسالة الغفران".

الرواية بهذا تعد يوتوبيا مضادة، خطاب إنذار وتحذير ما يمكنه أن يصيب الإنسانية جراء اتباع أنماط معينة من الأفكار، وكما قال بعض المنظرين فغنه " في غياب قدرة اليوتوبيا على أن توحى "الأمل" وتبعثه برؤيتها لملكوت السماء على الأرض، فإن اليوتوبيا المضادة تخسر عملها المقابل بوصفها الساخر والمستخف بهذه الآمال، والعدو المناوئ لتلك

الملتقى الوطني الحركة الأدبية الجزائرية بين التأصيل والتجريب

النظرة أو الرؤية عن طريق تحريكها لوجدانات وذاكرات العذاب والخراب على الأرض"... ويتعبّر آخر فإن خطاب النذير يعوض خطاب التبشير الذي جاءت به اليوطوبيات منذ جمهورية أفلاطون ومرورا براءة الفارابي " المدينة الفاضلة" وهو العنوان الذي تحول إلى ما يشبه المصطلح لتعيين هذا النمط من الكتابات.

رغم كل ما يمكننا أن ننعت به عمل حبيب مونسي الذي يعد محدودا جدا من الناحية الفنية، والذي يبدو ان كبر الفكرة وعمق أبعادها والصدى القوي لممكّنها قد شغل الكاتب عن الاشتغال أكثر على مواد التخيلية وعلى لغته على وجه الخصوص إلا أن عمله الروائي هذا يعد فاصلة لا تنسى ولا تتجاوز في تاريخ الأدب الجزائري، وسوف يحسب له ما يمكن تسميته بحداثة الريادة إذا لم تكن له حادثة التجريب كما نتوقعها في هذا النوع. وإن كنا لا ننزعها عن العمل تماما لكيلا نسقط في الحيف. فمن خلال ما سبق نرى بأن الكاتب اعتمد على التناص في كتابته لهذه الرواية، فقد ذهب بنا إلى الماضي وصاغ لنا ما يمكن أن 11 مقابلا روائيا لحاضرنا، بشكل تجريبي غير مسبوق في الجزائر على الأقل.. كما يظهر لنا أن الكاتب كان متأثرا بقصص ألف ليلة وليلة، فقد أبدى في هذه الرواية تأثرا بهذا النمط السردى المتميز.. وهنا نكون بصدد وضع اليد على حادثة الخطاب الروائي العلمي في الجزائر...من باب كون الخيال

الملتقى الوطني الحركة الأدبية الجزائرية بين التأصيل والتجريب

العلمي عموماً بعيداً شيئاً ما عن التناص والحوار بين النصوص وتناول الماضي... الخ وكلها عناصر تنتمي إلى دائرة الأدب العام لا العلمي .

"الكلمات الجميلة"²¹... كما دونها نبيل دادوة

إن أشد الأعمال تهديداً لسائد الكتابة وأكثرها غوصاً في أعماق الحادثة هي تلك التي تحدث زلزلة خافتة بطيئة تكاد لا تشعر بها. تلك هي الحال مع رواية "الكلمات الجميلة" أو رحلة إلى الزهرة" للكاتب نبيل دادوة. إنها رواية تكاد تكون ريفية rurale حسب مصطلح الرومانسيين هيكل مادتها الخام حديث يغوص في عوالم القرية التي يعلن عنها الروائي منذ الصفحة الأولى (والتي إليها تعود أصوله "أولاد بوفاهة" (ص5)؛ القرية التي أهلها أندلسيون لم يعودوا يعلمون أنهم طردوا من جنة الأندلس وأنهم منفيون في تلك الدشرة التي نسيها التاريخ. إن العنوان يدل دلالة صارخة على محتوى الرواية... فنحن مباشرة أمام جوهر المفارقة التي ينبني عليها العمل التجريبي: الكلمات الجميلة /====/ رحلة إلى الزهرة

فضاء حالم /====/ كوكب، فضاء، علوم

ونحن بهذا غائصون في قلب الثنائية التضادية المسيرة للعمل السردية: رومانية القرية وسحر الكتابة الأنيقة من جهة، والعوالم العلمية التكنولوجية لذلك البطل المشتغل على صناعة مركبة فضائية تسمح له بزيارة كوكب الزهرة، الفتى العبقري المجنون الذي جاءت نبوءة تعلن عن كون الكلمات الجميلة معتقلة في إحدى مغارات كوكب الزهرة، وهو ما

الملتقى الوطني الحركة الأدبية الجزائرية بين التأصيل والتجريب

يفسر الفضاءة التي في العالم، فضاءة تسكن ذاكرة الجد الذي يتحدث دائما في أذ وقلب الفتى (ص5)...

الجميل والجديد، والذي يحسب أصلا على الحداثة والتجريب، بالنسبة للخيال العلمي-شرقا وغربا- هو فراغ ذلك السرد من الفجاجة والبرودة والخطابية والتعليمية التي صاحبت الخيال العلمي منذ نشأته، ففي حالة "الكلمات الجميلة" يبدو كأن الروائي لا يأخذ من خ.ع إلا موتيفا يتحرك من خلال طاقاته التخيلية... أما المادة الخام للرواية فهي الوقائع الصغيرة والأحداث البسيطة والحوارات الرشيقة لأهل "الدشرة"... المكونات الصغيرة التي يعطيها نبيل دادوة عمقا قل نظيره، وهو الجانب الذي أعتقد أنه سيحسب لهذا النص؛ الجانب الحداثي الذي عمل على المصالحة بين عناصر تعودت عدم المصالحة: السرد العلمي، الواقع الريفى القروي، الكتابة الشعرية الثرية ببلاغتها والتوالد السردى على نمط "ألف ليلة وليلة"، ثم الإحالات المستمرة على التاريخ العربى وكذلك الجزائري...

رواية "أمين العلوانى" لفصل الأحمر، رواية تجريبية (بمثابة شهادة إبداعية)

أعتقد أن أكثر أعمالى فى الخيال العلمى اكتمالا هى "أمين العلوانى" ²²... وهى رواية جمعت أشتاتا كثيرة من فنون القول (المذكرات، البيوغرافيا، الشعر، التسجيل بالكاميرا، المنتخبات الأدبية، القصة، الدراسة النقدية...) وكل ذلك فى إطار ترجمة لحياة كانت ستعاش فى المستقبل

الملتقى الوطني الحركة الأدبية الجزائرية بين التأصيل والتجريب

من قبل كاتب كبير هو المدعو "أمين العلواني" إنها رواية تأملية فلسفية تنظر في جوهر الأدب والفن، والقدر، في الصلات المعقدة بين النص الأدبي والتاريخ، الإنسان والكلمات، وتتأمل كثيرا في وظيفة الأدب التي يبدو أنها اهتمت بقوة في القرن 20.

هي رواية تجريبية لأنها تحتوي لعبا بالكتابة، بالأفضية الطباعية بقواعد الكتابة الروائية، وبكثير مما درجنا على عده قواعد لكتابة الرواية لا تتبدل ولا تتحول ...

"أمين العلواني" بالنسبة إلي تعبر عن الإمكانيات الكبيرة للتعبير الأدبي التي تمنحنا إياها كتابات الخيال العلمي، إنها دفع للأمور إلى حدود بعيدة، حاولت من خلالها إثبات القدرة الكبيرة لهذا النوع المنفتح بالضرورة على التجريب لكونه موجهًا مبدئيًا صوت الغد المقبل الآتي... أليس الخيال العلمي في عرف كثير من الناس هو أدب المستقبل ؟ إنه كذلك بالمعنى الحقيقي والمعنى المجازي "أمين العلواني" منحنتي إمكانية التلاعب بقواعد التخيل البسيطة أو القاعدية، فقد تخيلت في مقطع ما من الرواية أن الشخصية الأدبية المسماة "أمين العلواني" ستجد كتابي حولها وتقرأه، ثم جعلت أتصور ردود فعلها إزاء كاتب يرسم حياتها بأدق التفاصيل، ثم قبلت أنه ربما سيثيره ذلك الكاتب الذي رسم حياته فيبحث عن أسرارهِ ويكتب حول تجربة ذلك الكاتب المغمور الفاشل المسمى "فيسل الأحمر" وأنشأت لعبة مرايا كبيرة جدا يحاور من خلالها كل كاتب

الملتقى الوطني الحركة الأدبية الجزائرية بين التأصيل والتجريب

من الاثنين صورة الآخر في زمن آخر مع تعليقات السارد، تلك الشخصية الكبيرة المسماة هو، والتي أعطيتها أنا اسما في روايتي وجعلتها هي المؤلف الحقيقي لسيرة أمين العلواني.

أنقل الآن مقدمة الرواية لان فيها إضاءة لما وددت القيام به، وما حرك العمل كافة:

" فاتحة

أن تكتب رواية خيالية علمية معناه أن تواجه الواقع وألا تهرب منه أبدا... معناه أن تكون حذرا لأن الواقع في خ.ع متحرك دائما، حقيقي، ينبض حياة... كثيرا ما عانى الواقع من الجمود وفقدان القدرة على الإعراب عن نفسه تحت أقلام الروائيين "الواقعيين"... إنه واقع فوتوغرافي والصورة الفوتوغرافية تستطيع أن تكون كل شئ ما عدا واقع؛ فالواقع طبقات من الأشياء المحسوسة ودرجات من الوعي بالشيء نفسه وطرق عديدة لتأويل ما تلتقطه الحواس ويعيه العقل... والأدب الواقعي عاجز عن ترجمة هذه الأشياء... إن هذا هو ميدان رواية الخيال العلمي.

كان نيتشه يتحدث عن " تعدد الحقائق " رادعا ثقة "مرحلة الأنوار" في الوعي بالمحيط وثقتها في قدرة العقل على إدراك الجواهر كلها من الميتافيزيقا إلى المحسوسات المختفي معناها بشكل ما ونتحدث اليوم عن "تعدد الواقع"... هل الواقع ما نظنه نحن واقعا؟ هل الواقع ما نعيشه في اليقظة أم أن اليقظة حالة غير حقيقية نعوص فيها متى استيقظنا من

الملتقى الوطني الحركة الأدبية الجزائرية بين التأصيل والتجريب

النوم الذي يكون بذلك الواقع الحقيقي غير المخدوع ولا المخادع ؟ ... أم أن الواقع ما يراه ويعيشه السكران أو المريض المهلوس أو المخدر ؟ ... وما هو الواقع "الواقع" عندما يعيش مجموعة من الناس وضعية واحدة ويعيها كل منهم بطريقة ؟ مَنْ مِنْ هؤلاء الواعين يعي الواقع في حين يكون الآخرون مخطئين في حساباتهم؟

الخيال العلمي هو الوحيد الكفيل بإجابة هذه الأسئلة...

أن تكتب رواية خيالية علمية معناه أن تتحلى بشجاعة وجسارة معينة لأن ما يتخيله الواحد منا حول شكل المستقبل غالبا ما يأتي المستقبل ليظهر سخافته وضعف مخيلة صاحبه... والعزاء الوحيد للكاتب الذي يصبح مضحكة هو أنه غالبا ما يكون ميتا غارقا في واقع البرزخ وما بعد القبر من واقع ! ! ...!

ألا يكون الواقع هو ما ينتظرنا بعد الموت وتكون الحياة كلها حلما أو لعبة خيالية تدور أحداثها على ارض خيالية اسمها "الأرض" مثلا ؟ أن تكتب رواية خيالية علمية معناه ألا تنتظر اعتراف المحيط بلا مباشرة لأن هضم القراء والنقاد لروايات الخيال العلمي منذ قرابة القرنين هضم عسير في أغلب الأحيان ؛ إذ إنه قلما نالت رواية خ. ع جادة اعتراف القراء والنقاد مباشرة... والعزاء الوحيد هنا أيضا هو اللذة التي يجدها كاتب هذا النوع وهو يكشف عن واقع مخيلته، وتصوروا تلك اللذة وأنا أفتح بوابة دماغي على الواقع الوحيد الموجود فيه، الواقع الذي لا

الملتقى الوطني الحركة الأدبية الجزائرية بين التأصيل والتجريب

يعرفه أحد سواي، الواقع الذي ظل خفيا حتى تسنى لي أن أطلع عليه الآخرين، الواقع الذي أجتهد وأتلهذ بكتابته ووصفه وسرد حيثياته قطعة قطعة، وطيلة عام أو عامين من الكتابة وأنا أخرجه إلى أن يأخذ شكله النهائي الذي هو هذا الكتاب !

ربما يوجد عزاء آخر هو الطمع في المجد (ألم يسمها أرسطو "غريزة المجد"؟)...

أن يعمل الكاتب في صمت، أن يجتهد أن يكون وفيا لرؤاه، أن يخترق المحذور ويتجاوز الحدود التي يراها خرقاء حمقاء... أن يكون صادقا مع نفسه ومع الآخرين... أن يحب عمله ويحب الآخرين ويكتب وهاجسه الوحيد التوصيل لأجل التواصل مع أهله (مع أهله مرتبين من عائلته وأهل بيته إلى القارئ الافتراضي الذي قد يكون في اليابان وبعد قرنين أو ثلاثة من الزمن).

أن تكتب رواية من الخيال العلمي -أخيرا- معناه أن تكون من المجانين الذين يتخلصون نهائيا من الجاذبية ومن سلطة أنساق المجتمع العاقل، وأنظمة المنطق، وواجبات الاتجاه السياسي، أن تجيد السير إلى الخلف مثل إبراهيم رمضان (بطل قصتي "المجنون" من مجموعتي خ.ع "وقائع من العالم الآخر-الصادرة عام 2002)، وألا تكون حريصا على المحاباة والوصول وإرضاء المقربين، وألا تحترم إلا الحق، الحق الذي يقف متحديا للباطل منذ بدء الخليقة دون هدنة أو اتفاقيات مريحة ودون

الملتقى الوطني الحركة الأدبية الجزائرية بين التأصيل والتجريب

إدبار أو بحث عن أرضيات مشتركة وحلول وسط تمسك بالعصا من وسطها.

ماذا عن "أمين العلواني" ؟

أمين العلواني مولود وحي يرزق ... وأحداث حياته أمامك في الكتاب ... مالك الأديب موجود وهو كاتب سيرة أمين العلواني الأديب المشهور ... والدليل على ذلك الكتاب الذي بين يديك...

وأمين العلواني يترجم لحياة كاتب قديم مشكوك في قيمته الأدبية هو فيصل الأحمر ... وهذا الشخص أيضا موجود واسمه على غلاف هذه الكتابة /الرواية/ السيرة/ الترجمة/ الدراسة/ التأريخ وكل الدلائل تدل على أنه موجود...

فيصل الأحمر كتب كتابا عن أمين العلواني مع مطلع القرن الحادي والعشرين أي قبل ميلاده...

أمين العلواني المستقبلي يشبه أمين العلواني الماضي... وهذا الأمر ليس محيرا على عكس ما يقوله مالك الأديب الذي سيأتي بعد أمين العلواني بنصف قرن تقريبا... والدليل هو ما تقوله ترجمة مالك الأديب عن الشخصين (أمين العلواني /الرواية وأمين العلواني المؤلف ذائع الصيت...)

الملتقى الوطني الحركة الأدبية الجزائرية بين التأصيل والتجريب

وفيصّل الأحمر موجود في نهاية القرن الحادي والعشرين بفضل كتاب أمين العلواني عنه، وذلك ما يؤكد مالّك الأديب (كاتب سيرة العلواني (

ومالّك الأديب هو شخصية قديمة لرواية كتبها فيصّل الأحمر مع بداية القرن الحادي والعشرين...
إنها أشياء تشبه الخيال العلمي ...

فلنرجى الكلام عنها إلى نهاية الكتاب الذي كتبه فيصّل ... لا الذي كتبه هو مالّك الأديب وهو... لا ... أغلب ما في الكتاب أعمال من تأليف أمين العلواني الذي هو بطل ترجمة مالّك الأديب التي هي رواية لفيصّل الأحمر الذي هو بطل لكتاب لأمين العلواني الذي هو بطل لكتاب لمالّك الأديب الذي هو بطل رواية فيصّل الأحمر كما هو وارد في ترجمة للعلواني كتبها مالّك الأديب الذي أوجده أول مرة فيصّل الأحمر.

الهوامش:

1 - العلام، عبد الرحيم : سؤال الحداثة في الرواية المغربية. إفريقيا الشرق، بيروت. لبنان 1999. ص ص 36 - 37.

2(8) - يقطين، سعيد : القراءة والتجربة، دار الثقافة المغرب، ط1، 1985، ص ص 293 - 294.

الملتقى الوطني الحركة الأدبية الجزائرية بين التأصيل والتجريب

*- العبارة تتويع على مصطلح (Un pont entre deux mondes) الذي استعمله الناقد جاك بودو Jacques Baudou كتعريف لهذا الصنف من الكتابات. ينظر: Le monde du livres- 06/07/2001.

3 - لوران فليدر: الرواية الفرنسية المعاصرة- تر: فيصل الأحمر- منشورات مخبر الترجمة في اللسانيات والأدب- جامعة قسنطينة- الجزائر - 2005- ص:74.

4 - مجموعة من المؤلفين: آفاق أدب الخيال العلمي- الهيئة العامة للكتاب- مصر - 1996- ص: 30.

5 - عزة الغنام: الإبداع الفني في قصص الخيال العلمي- مكتبة الأنجلو المصرية- مصر- 1988- ص ص: 29-30.

6 - فيصل الأحمر: في مقارنة الخيال العلمي- مجلة النص/ الناص- جامعة جيجل- الجزائر- عدد6- أكتوبر/ ديسمبر 2005- ص ص: 243-244.

7- Frédéric Fontaine: La science- Fiction- les essentiels AME- Paris- 1998- pp : 90-95.

8- Gérard Diffloth:La science fiction- Gamma presse- Paris- pp :51-73.

9 - عزة الغنام: الإبداع الفني في قصص الخيال العلمي- مكتبة الأنجلو- مصر- 1988- ص: 19.

10 - حبيب مونسي: جلالته الأب الأعظم- دار الغرب- الجزائر - 2002- ص: 20.

11 - المرجع نفسه- ص: 106.

12- Harlan Ellison: Dangereuses Visions, t :2- J'ai lu- Paris- p :269.

13 - جلالته الأب الأعظم- ص: 166.

14 - المرجع نفسه- ص: 84.

15 - المرجع نفسه- ص: 220.

16 - فالنتينا إيفاشيفا: على مشارف القرن الواحد والعشرين (الثورة التكنولوجية والأدب)- ترجمة: فخري لبيب- دار الثقافة الجديدة- القاهرة- د.ت- ص ص: 30-34.

17- La science Fiction, G. Diffloth- pp :32-33.

الملتقى الوطني الحركة الأدبية الجزائرية بين التأصيل والتجريب

- 18 - لا يمكننا ان نغفل عن الشبه الكبير بين هذه المضامين وبين رواية ألدوس هكسلي " عالم جديد فاضل" التي ترجمناها إلى العربية في ترجمة جديدة. ألدوس هكسلي: عالم جديد فاضل- تر: فيصل الأحمر- دار بنابي-الجزائر - 2009
- 19 - الرواية- ص: 67.
- 20 - على مشارف القرن الواحد العشرين- ص: 34.
- 21 نبيل دادوة: الكلمات الجميلة أو رحلة إلى الزهرة- دارالمعرفة- الجزائر - 2008
- 22 نشرت عام 2007 ثم عام 2011 بالجزائر عن دار المعرفة، وصدرت طبعة ثالثة منها عام 2017 عن دار العين المصرية.